التعليم الاجبارى

فى نظر الكاتب الانجليزى ولز

«التعليم الاجبارى العام شباك تصاد بها العقول الزهرية وفرصة يجب أن تتاح لكل مولود على سطح الارض» ولز

ليس ولز كاتبا انجليزيا فحسب ، بل هو فيلسوف اجتماعى ، وقائد عظيم من قادة الفكر فى هذا العصر ، ثم هو أيضا عالم متبحر فى العلوم الخلقية له مؤلفات قيمة فى الحياة ، والاجتماع والحيوان والنبات

فولز حينما يتكلم فانما يستلهم كلامه من عقليته الجبارة ، وولز حينما يرى رأيا فانما يستنبطه بعد تفكير ناضج سليم وولز حينما يقول فى التعليم الأجبارى إنه شباك تصاد بها العقول الوهوبة إلى آخر هذه الكلمات الجامعة المانعة فلا شك أنه يصيب كبد الحقيقة ، ولا شك أنه يستنهض الدول لتحقيق فكرة الأجبارية فى التعليم ، وأخيرا لاشك أنه يخالف الكثيرين ممن يقولون بأن الغرض من التعليم الأجبارى هو محو الأمية . أجل . . . ولز لا يقنع بذلك ولا يؤمن بهذا القول باعتباره غرضا أسمى إنما هو ينشد فى التعليم الأجبارى غرضا أسمى من هذا الغرض وهو أن يتخذ من المدارس الإلزامية شباكا تلتقط الحكومات فى الريف والمدن والقصر والكوخ وبين جدران هذه المدارس وعلى يد أساتذتها تصطاد الذكاء والنبوغ فى ذلك الشيء الذي قد يكون مطموراً للفقر .

ويطول بنا الحديث ويتشعب بل ونحسبه لا ينتهى إذا أردنا أن نستعرض جميع الرجال الذين كانوا مطمورين فى حياتهم الأولى والذين صاروا بحكم تعليمهم الأجبارى كما نراهم اليوم ، وها نحن نكتفى من هذه الأمثلة الكثيرة برجلين يعرفهما العالم أجمع

فالرئيس الفيلسوف مازاريك رئيس جمهورية تشكوسلوفاكيا كان أبوه حوذيا لم يستطع تعليمه إلا فى المكتب بل ليته وفق إلى ذلك فانه لفقره وقاته أخرجه منه وأسلمه إلى حداد يعمل عنده

غير أن معلم مازاريك كان يرى فيه استعدادا عقليا طيبا فسعى لدى والده في أن يرجعه إليه وبعد مقاومة قبل الوالد إرجاع ابنه إلى المكتب . وواصل الطفل مازاريك دراسته بعد ذلك إلى أن التحق بالجامعة وتخرج فيها وصار إلى ماصار إليه الآن من عظمة ومجد

ومكسيم جوركي أديب العصاليك في روسيا كان أبوه صباغا ومن ثم تقلب مكسيم في جملة صناعات في أيام طفولته حتى لقد كان ينتقل من مدينة إلى أخرى في طلب القوت إلى أن التقى بأحد الخبازين فرأى هذا الأخير في مكسيم شابا يحب الدرس فأعطاه جميع ماعنده من كتب لكي يقرأ . وشرع جوركي من ذلك الوقت يؤلف القصص حتى برع في تأليفها أمس يتأ للعلم يؤمه العلماء من جميع أنحاء روسيا الواسعة . وهكذا كانت جهود جوركي للعلم والأدب مما جعل الروس ينظرون إليه نظرة عظيمة باعتباره الحامي للثقافة عندهم .

هاتان شخصيتان لا نظن أن أحداً نال أقل حظاً من الثقافة يجهل ما يقومان به من خدمات جليلة للإنسانية جمعاء فأولهما رئيس جمهورية ، والثاني قصصي عالمي .

وهاتان شخصيتان يمكن أن نقول عنهما ولو إلى حد أنهما تعلما تعلما إجباريا فلولا معلم مازاريك وسعيه لدى والده في إرجاعه إلى المكتب لكان له شأن آخر غير هذا الشأن العظيم ، ولولا ذلك الخباز الذي رأى في جوركي ميلا إلى القراءة فأعطاه كتبه لما كان جوركي كما يعرفه العالم الآن

فأنت ترى مما تقدم أن الأجبارية في التعليم فوق أنها سلاح ماض تشهره الحكومات لتعزو به الأمية فهي كذلك شباك تصاد بها العقول الموهوبة على حد قول ولز

نريد أن نقول إن في هذا النشء المهمل الذي لم تصل إليه يد العلم الأول بعد عقولا قد تكون كعقول مازاريك وجوركي وقد تكون خيراً منها ، ونريد أن نقول كذلك إن التعليم الأجباري هو مفتاح هذه العقول لا بل هو الكشاف الذي نستطيع أن نكشف به عن هذا الثبت العظيم الذي إن أودع التربة الجيدة وأتى الجو الصالح فلا شك أنه يعود على مصر بأبرك الثمرات ؟

« رملة الأنجب »

محمد فتحي بك سليم